إنسان دارفور
أيات عاطف
رواية

# إنسان دارفور

## الكاتبة :أيات عاطف

عن الكاتبة:

---

كاتبة وطبيبة سودانية، تسعى من خلال كتاباتها لتوثيق معاناة الإنسان السوداني في زمن الحرب، وتحويل الألم إلى أمل.

---

عن الرواية:

> في بقعة من أرض السودان، حيث يلتقي

الجوع بالرصاص، ويجلس اليأس على أطلال البيوت المحترقة، يقف إنسان دارفور بلا مأوى ولا زاد، تحرسه السماء وحدها من برد الليل ولهيب النهار.

ليست حكاية فرد، بل حكاية شعب نزف من النفي والتهجير والجوع حتى جفّت دموعه، لكنه ما زال يبحث بين الركام عن بقية حياة.

---

كانت الشمس في ذلك الصباح حارقة كأنها تُعلن غضبها على هذه الأرض المنهكة، والريح تدور في ساحة القرية الخالية، تحمل معها

غبارًا ممزوجًا برائحة الرماد. بين جدران طينية متصدعة، يجلس طفل حافي القدمين، يضم ركبتيه إلى صدره، وعيناه تلاحقان سربًا من الطيور المهاجرة، كأنها تحمل له وعدًا بـ الرحيل إلى مكان آخر... بعيد عن صوت الرصاص وصمت القبور.

هنا، في دارفور، ليست الحكاية عن بيت واحد تهدّم، ولا عن أسرة ضاعت في زحمة النزوح، بل عن شعب بأكمله طُرد من دفء الحياة إلى عراء البقاء. الجوع هنا ليس مجرد إحساس في المعدة، بل هو سكين يقطع أحلام الصغار، والخوف ليس عابرًا، بل ظلّ طويل لا يزول حتى في وضح النهار.

على هذه الأرض، كل طفل يحمل في عينيه عمرًا أكبر من سنه، وكل أم تحمل في قلبها قبورًا أكثر من الأسماء التي تناديها.
ومع ذلك... وسط الرماد، تظل هناك جذوة صغيرة من الأمل، تقاوم الريح، علّها تشتعل يومًا وتعيد الدفء لما تبقّى من إنسان دارفور.

# الفصل الأول

## " المخيم"

اسمي آدم. منذ أن فقدتُ أبي، أصبح اسمي مجرد حرف في هواء المخيم. لم يعد للسماء لونٌ آمن، ولا للأرض مكانٌ يمكنني أن أستكين عليه. كنتُ صغيرًا حين بدأت الحرب، كنتُ أركض بين الحقول وأسمع ضحك أبي وهو ينادي أمي، والآن أركض بين الخيام، وأسمع صرير الخيام والريح، وصوت أقدام النساء وا لأطفال الذين يجرون بحثًا عن الطعام والماء.

الليلة التي فررنا فيها من القرية لم أنسَها أبدًا. أصوات الرصاص كانت أقوى من أي عاصفة،

والدخان يملأ الهواء، والناس يصرخون بلا توقف. أمي حملت أختي الصغيرة، وصرخت في وجهي: "لا تنظر خلفك!"، ولكني سمعت كل شيء... صراخ الناس، انفجار المنازل، وبكاء الأطفال الذين لم يفهموا بعد لماذا تغيّر العالم بهذه السرعة.

وصلنا إلى المخيم بعد أيام من السير. الطريق كان مليئًا بالتراب والحر، وأقدامنا بلا حذاء. هناك، كانت الخيام منتشرة بلا نظام، كل خيمة تحوي عائلة، وأحيانًا أكثر من عائلة. الماء قليل، والطعام يكاد لا يكفي لتسع رمقًا. ا لأطفال يبكون من الجوع، والأمهات يصمتن خوفًا من أن تنهار قواهن، والرجال يحاولون

البحث عن شيء يمكن أن يساعدهم على البقاء.

أيام المخيم كلها متشابهة: الشمس تحرقنا نهارًا، والبرد يلسعنا ليلًا. أرى الأطفال يجمعون حبات الذرة المبعثرة على الأرض، وأحيانًا أرى أطفالًا يسرقون طعامًا قليلًا من بعضهم البعض. لا أحد يلومهم، الجميع جائع. أختي ريم تحاول اللعب بورقة ممزقة، لكنها سرعان ما تصمت، وعيناها تمتلئان بالدموع الصامتة.

الأمراض هنا تتسلل مثل خيوط الدخان. الإ سهال يفتك بالأطفال الضعفاء، والحمى تتسلل إلى أجسادهم الصغيرة. الأطباء قليلون، والأ

أدوية نادرة. أحيانًا أرى الناس يموتون أمامي، ثم تُرفع أجسادهم بصمت، دون جنازة، وكأن الموت أصبح جزءًا من الحياة هنا.

الليل أسوأ من النهار. الظلام ثقيل، والريح تحمل أصوات الخيام الممزقة، وصرخات الأ طفال الذين فقدوا أهلهم. أمي تحاول تهدئتي ، تقول إننا سنصمد، وأن هناك أملًا، لكني أرى الخوف في عينيها، وأسمع الحزن في صوتها.

أتذكر القرية أحيانًا: ضحك أبي، رائحة الخبز الطازج، صوت الماء الجاري في النهر، وأوراق الأشجار التي تتراقص مع الريح. كل ذلك صار حلمًا بعيدًا، كأنني أفتقده في عالم آخر. أحيانًا

أتساءل: هل سنعود؟ هل سيكون هناك مكان لنا في هذا العالم؟

رغم كل شيء، نحاول البقاء. نبتسم قليلًا لنخفف عن بعضنا، نشارك الحكايات، نبحث عن لحظات صغيرة من الفرح، حتى لو كانت مجرد لعبة بورقة أو حديث عن أيام القرية الماضية. ولكن القلب يبقى ثقيلًا، والعينان تملؤهما الحزن، والروح تتعلم منذ الصغر أن الحياة في دارفور ليست سوى صراع للبقاء، لكل يوم جديد، لكل لحظة صغيرة من الأمان.

---

# الفصل الثاني
# مواجهة جديدة في المخيم

في صباح آخر، استيقظت على صراخ الأطفال ، وكان الصوت يأتي من جهة الخيام الكبيرة التي خصصت لتوزيع الماء. صف طويل من الناس يمتد تحت الشمس الحارقة، والكل

يضغط على بعضه، يحاول الوصول إلى دلاء صغيرة مليئة بماء أقل من حاجتهم. أمي أمسكت بيدي وقالت: "اصبر، آدم... سنحصل على القليل." حاولت أن أبتسم، لكن الخوف جعل قلبي يتسارع، فالصفوف هنا لا تعرف الرحمة، وكل لحظة يمكن أن تتحول إلى صراع على الحياة.

بينما كنا ننتظر، شاهدت طفلًا أصغر مني يسقط أرضًا فجأة، لا يقوى على المشي بسبب الجوع والإرهاق. حاولت أن أساعده، لكن أحد الرجال صفعه بعيدًا وأخذ مكانه في الصف. صرخت أمي، وجرّتنا بعيدًا، لكن الصدمة بقيت في صدري... هذا هو عالم المخيم، مكان

لا يعرف العدل، فقط البقاء للأقوى.

بعد ساعات، حصلنا على دلاء صغيرة، بالكاد تكفي لرشفة واحدة لكل منا. كانت المياه موحلة ورائحتها غريبة، لكن الجميع شربها، ف الموت من العطش أسرع من الموت من التلوث. أمي قالت لي: "عليك أن تشرب، آدم... فالماء حياة." حاولت أن أستوعب ما قالته، وأنا أشعر بالغثيان، لكني شربت.

الطعام كان أسوأ. أطباق صغيرة من الذرة المخلوطة بالماء الموحل، يشاركها عشرة أشخاص على الأقل. أختي ريم أمسكت جزءًا صغيرًا بيدي وقالت: "سآكله لاحقًا." نظرت

إليها، وقلت في نفسي: هل نستطيع أن نحتفظ ببعض الطعام في هذا المكان؟ ربما، لكنه لن يكفي للأمس واليوم والغد معًا.

في الظهر، جاء رجل من منظمة الإغاثة ليخبر الناس بأن بعض الخيام سيتم إخلاؤها بسبب نقص الموارد. صرخت النساء، وبكى الأطفال. أمي أمسكت بيدي ودفعتني إلى الخيمة: "لا تبكِ، آدم... سنجد مكاننا." لكني شعرت بالا نكسار. كل يوم هنا يحمل لنا خبرًا جديدًا عن فقدان شيء ما، عن نقص جديد، عن حياة أقصر من الأمس.

في المساء، بينما كنت أجلس بالقرب من

أختي، جاء صوت بكاء من جانب المخيم. طفل صغير فقد والدته في الزحام. حاولت أن أقترب، لكن أحد الرجال قال: "ابتعد، هذا ليس شأنك." شعرت بالغضب، لكني لم أستطع فعل شيء. تعلمت منذ أيام الحرب الأولى أن هناك أمورًا أكبر من قوة أي طفل صغير.

ليلة المخيم كانت أكثر قسوة من أي ليلة قبلها. الريح تحمل معها رائحة الغبار والموت، وأصوات الأطفال المذعورين تملأ المكان. أمي حاولت تهدئتنا، لكنها بدت ضعيفة هذه المرة. جلست بجانبي، أمسكت يدي وقالت: "غدًا سيكون أفضل، ربما." نظرت إلى السماء المظلمة، لم أرَ فيها أي وعد... سوى نقطة

ضوء بعيدة، شعاع ضعيف لم أعرف إذا كان نجمة أم مجرد وهم.

رغم كل شيء، جلسنا معًا، أختي الصغيرة تحاول النوم على كتف أمي، وأنا أحاول تذكر أصوات القرية القديمة. أرى في ذهني ضحك أبي، وأتخيل النهر والجداول والأشجار...
وأدرك أن هذه الذكريات هي كل ما تبقى لنا، وأن المخيم ليس إلا صراعًا يوميًا للبقاء، كل يوم يحمل معه جديدًا من الألم والخوف، ولكن ربما، في يوم من الأيام، سنجد طريقنا إلى الحياة مرة أخرى.

---

## الفصل الثالث

## أصوات المخيم" أحلام تحت الرماد"

مع غروب الشمس، بدأ المخيم ينزلق في صمت ثقيل، إلا من أصوات الريح التي تصطدم بالخيام الممزقة، حاملة معها رائحة التراب والعرق والغبار. هنا، في قلب هذا المكان الذي لم يعد يحمل أي أمان، جلس آدم على الأرض، عيون الطفل العاشرة مليئة بـ الحنين والارتباك. فقد والده منذ شهور، وأصبحت ذكرياته عن القرية القديمة مجرد صور متلاشية في ذهنه. كل خيمة، كل زاوية،

كل خطوة على الرمال جعلت قلبه يتقلص خوفًا من المستقبل الغامض.

بجانبه، كانت ريم، أخته الصغيرة، تحاول اللعب بورقة ممزقة، لكنها سرعان ما تركتها لتجلس في حضن أمي، عيناها الواسعتان مليئتان بالذعر. لم تفهم سبب الرحيل، ولم تستوعب أن الحياة قد تغيرت إلى الأبد. أصوات الأطفال الآخرين تبكي أو تصرخ، وأحيانًا يضحكون بشكل غريب، كأنهم يحاولون التظاهر بأن كل شيء طبيعي، بينما الحقيقة تقول إن البراءة اختفت من وجوههم.

أم آدم، امرأة في الثانية والثلاثين، كانت تقف على قدميها رغم الإرهاق الشديد، تحاول توزيع القليل من الذرة المطحونة على الأطباق الخشبية. كل حركة لها محملة بالقلق و الخوف: الماء يكاد ينفد، الأطفال مرضى، و الصبر ينفد معها. تحاول أن تظهر قوية أمامهم ، أن تجعلهم يشعرون بالأمان ولو للحظة، لكنها تعرف أن قلبها المثقل بالخوف لا يهدأ أبدًا. كل لحظة تمر، كل صرخة أو بكاء للأطفال تجعلها تشعر بالعجز والضياع، وكأنها تتذكر كل ما فقدته خلال هذه الحرب.

في زاوية المخيم، جلس أحمد، طفل يبلغ من العمر اثني عشر عامًا، فقد أسرته بالكامل. كان

يراقب العالم بصمت، يحاول الابتعاد عن الآ
خرين، فالخوف من البالغين ومن الجوع جعله
يختبئ في الظل. الوحدة تضغط على صدره
أكثر من أي شيء، لكنه تعلم أن الصمت أحيانًا
يحميه من الألم والخيبة. عيناه تبحثان دائمًا
عن أي فرصة للهروب من الواقع، عن أي شيء
يذكره بأن الحياة لم تنته بعد، رغم كل الدمار
حوله.

على طرف المخيم، كانت سارة، فتاة في
السابعة عشرة، تقف محاولة أن تنظم الأطفال
وتحميهم من الزحام والعنف. فقدت المدرسة
والأسرة، لكنها ما زالت تحتفظ بشيء من
القوة الداخلية. قلبها ثقيل بالحزن، لكن عقلها

يرفض الاستسلام. كل حركة تقوم بها تعكس محاولة لمواجهة اليأس، كل كلمة تقولها للأ طفال محاولة للحفاظ على ما تبقى من الأمل. تشعر بالوحدة العميقة، لكنها تعرف أن وجودها بين هؤلاء الأطفال ربما يكون الشيء الوحيد الذي يحافظ على جزء من حياتهم.

مع حلول الليل، الريح تعصف بالخيام وتصدر أصواتًا مخيفة، كأنها تهمس لكل طفل بأن العالم صار أكثر قسوة مما يمكن تحمله. أمي تحاول تهدئتهم، بينما يحاول الأطفال النوم، الجوع يثقل أمعاءهم، والبرد يتسلل إلى أجسادهم الصغيرة. كل خيمة تحمل معها قصص فقد وخوف، وكل زاوية تخفي

صرخات الأطفال الذين رأوا الموت وجلسوا أمامه صامتين.

آدم، وهو ينظر إلى أخته، يحاول تذكر ضحك أبي، وأصوات الطيور في القرية، والألوان الخضراء للحقول، كل ذلك ليهرب ولو للحظة من الواقع القاسي. ريم تحاول النوم على حضن أمي، لكن عينيها لم تغلقا، وكل حركة للريح تجعلها تستيقظ مذعورة.

أحمد يمد يده إلى السماء، متخيلًا أنه يلمس الحرية التي فقدها، ويتمنى لو كان بإمكانه الهروب من هذا المكان، من هذا الصمت الذي يثقل قلبه. سارة تحاول بث بعض الطاقة في

الأطفال، تروي لهم قصصًا عن المستقبل، عن الحياة التي ربما ستعود، لكنها تعرف أن الكلمات وحدها لا تكفي، وأن الألم يختبئ في كل زاوية من المخيم.

المخيم كله يئن تحت وطأة الجوع والخوف، تحت صمت الأطفال وصراخهم، تحت حرارة الشمس وبرد الليل، وتحت غياب أي وعد بـ الحياة الطبيعية. ومع ذلك، كان هناك شيء واحد يجمعهم جميعًا: أصابع صغيرة تتشبث بـ الحياة، وقلوب تحاول الصمود، ووميض ضئيل من الأمل يبقى حيًّا، كأنه شعاع ضوء بعيد بين الرماد، يحاول أن يذكر الجميع بأن الحياة لم تنتهِ بعد.

# الفصل الرابع

## المخيم تحت الهجوم "صرخة الخيام الممزقة"

لم تمض دقائق حتى بدأت خطوات المجموعة المسلحة تقترب أكثر، كل خطوة تصدر صدى على الأرض الموحلة بالمخيم. أصوات الصراخ والركض امتلأت بها الخيام الممزقة، والأطفال بدأوا بالبكاء والارتجاف من شدة الخوف.

الريح كانت تعصف بالغبار في الهواء، وحملت معها رائحة الخوف والعرق والغبار المتطاير من كل زاوية.

آدم أمسك بيد أخته ريم بقوة، شعر أنها أصبحت امتدادًا لروحه الصغيرة، وأن أي تهديد قد يطالها مباشرة. لم يعد هناك مكان آمن، كل زاوية كانت تحمل الخطر، وكل صرخة من امرأة أو طفل تزيد قلبه وجعًا وخوفًا. لم يكن يعرف من أين سيأتي الخطر، ولماذا تبدو كل خطوة في المخيم كأنها تحدٍ للبقاء.

ريم الصغيرة، ممسكة بثوب والدتها، بدأت

تصرخ بصوت مخنوق، غير قادرة على فهم حجم الرعب حولها. كل حركة مفاجئة، كل صراخ طفل، كل ضربة عصا، كان يعكس العنف الذي يحيط بها، وكان قلبها الصغير يختنق بالعجز والخوف.

أم آدم، وهي تحاول حماية أطفالها، شعرت بـ العجز رغم كل جهودها. حاولت دفن الأطفال في الزوايا، إخفاؤهم بين الخيام، لكن المجموعة المسلحة اقتحمت المساحات المفتوحة بسرعة مرعبة. بدأت النساء يصرخن ، والأطفال يبكون، والرجال يحاولون صد المعتدين بلا جدوى. كل لحظة كانت كأنها اختبار للبقاء على قيد الحياة، وكل حركة

خاطئة قد تكلف الأرواح.

أحمد، الذي اعتاد الصمت والحذر، وجد نفسه مضطرًا للتحرك بسرعة بين الأطفال المصابين والنساء المخيفات، محاولًا حمايتهم من الا عتداءات. كل خطوة كانت محفوفة بالخطر، كل حركة خاطئة قد تضعه في مرمى المجموعة. ولكنه تعلم أن الصمت لم يعد كافيًا ، وأن البقاء يتطلب شجاعة حتى لو كانت صغيرة جدًا.

سارة، الشابة المراهقة، كانت تتحرك بين الخيام، تحاول تهدئة الأطفال وحماية النساء من أي اعتداء مباشر. كل صرخة كانت تزيد

من توترها، وكل لحظة كانت تحديًا لعقلها وقلبها الصغير. كانت تحاول الإمساك بأي فرصة لحماية من تستطيع، لكنها شعرت بثقل المسؤولية أكثر من أي وقت مضى، ومع كل لحظة تتأكد أن الحياة في المخيم لم تعد مألوفة أو آمنة.

الهجوم لم يقتصر على الصراخ والخوف فقط، بل شمل النهب وسرقة الطعام والماء، وكأن المجموعة المسلحة تريد أن تترك المخيم بلا أي موارد، بلا أي فرصة للبقاء. بعض الرجال حاولوا المقاومة، لكن العدد والوحشية كانا أكبر. أصوات الأنين، الصراخ، والركض الممتزج بالغبار أصبح سيمفونية الرعب في

المخيم.

آدم حاول أن يبقى خلف أمه وأخته، يراقب كل ما يحدث بعينين مليئتين بالخوف، لكنه لا حظ كيف يسقط بعض الأطفال على الأرض، صرخاتهم تختلط بالدم والعرق والغبار، وكيف يتم دفع النساء بلا رحمة من قبل المعتدين. قلبه كان يتألم، لكنه لم يستطع أن يفعل شيئًا سوى البقاء قريبًا من من يحب.

ريم ظلت ممسكة بأمها، تتشبث بحياتها الصغيرة في حضنها، كلما حاولت أن تحرك قدمها أو تصرخ، كانت والدتها تحجبها بحضنها محاولة حمايتها من العنف المباشر.

أحمد، الذي تعود على مراقبة كل شيء، شعر بـ
الغضب يختلط بالخوف، لكنه لم يعرف إلى
أين يتجه أو كيف يحمي من حوله. كل شيء
أصبح فوضى، كل شيء أصبح اختبارًا للبقاء.

سارة، رغم خوفها، لم تتوقف عن حماية الأ
طفال. حاولت تهدئتهم، إبعادهم عن الا
عتداءات المباشرة، والبحث عن أي خيمة
يمكن أن توفر مأوى مؤقتًا. كل حركة لها
كانت محسوبة، كل كلمة كانت محاولة لمنح ا
لأطفال ولو لحظة أمان وسط العنف و
الفوضى.

مع غروب الشمس، ومع استمرار الاعتداءات و النهب، أصبح المخيم كله شبه خالٍ من الأمان. الأطفال منهكون، النساء منهكات، والرجال يشعرون بالعجز أمام قوة المعتدين. ومع ذلك، ظل هناك شعاع ضئيل من الأمل: أصابع الأ طفال الصغيرة تتشبث بالحياة، قلوب تحاول الصمود، ووجود من يحبهم يمنحهم قدرة على التحمل ولو للحظة.

الغد كان مجهولًا، المخيم صار ساحة اختبار للنجاة، ولكل شخصية دوره في الصمود، ولكل لحظة أثرها العميق على الأطفال الذين رأوا الحياة تتغير أمام أعينهم في أقل من ساعات.

---

## الفصل الخامس
## الطريق إلى المخيمات الحدودية
## أقدام على الرمال الحارقة

بدأت الرحلة قبل الفجر، وهم ينسحبون من المخيم المهدد، كل خطوة محسوبة، كل حركة مليئة بالحذر. الشمس لم تشرق بعد، لكن الحرارة بدأت تتسلل إلى الهواء، والرياح كانت لا تهدأ، تحمل الرمال في كل مكان، تجعل كل

تنفس صعبًا.

آدم، ممسكًا بيد أخته ريم، شعر بثقل كل خطوة. الرمال تحت قدميه كانت حارة وممتدة بلا نهاية، كل حجر صغير أو شوكة كانت تؤلمه أكثر من السابق. لم يكن يعرف كم تبقى من الطريق، كل ما يهمه أن يبقى بجانب أخته وأن يحميها من الخطر المباشر.

ريم الصغيرة بدأت تتعب بسرعة. دموعها كانت تنهمر على وجهها المغبر، كل مرة تحاول أن تمشي، كانت تتوقف من شدة التعب. الأم حاولت حملها، لكن ضعف جسدها بعد السهر و القلق جعل الأمر صعبًا. كان عليهم المضي

قدمًا، وإلا فقدوا أي فرصة للبقاء على قيد الحياة.

أحمد، رغم صمته المعتاد، بدأ يظهر قوته الداخلية في مراقبة الطريق. كان يوجه الأطفال ويقترح أماكن الظل المؤقتة، يحذر من الرمال الساخنة، ويقيس سرعة السير بناءً على حالة الأطفال. كل خطوة كانت محفوفة بالمخاطر، من الشمس، من الإرهاق، ومن احتمالية مواجهة أي مجموعة مسلحة أخرى.

سارة، رغم صغر سنها، كانت تقف بجانب الأم، تحاول تنظيم السير، تهدئة الأطفال، وتشجيعهم على مواصلة الطريق. كان عليها

حمل الماء القليل الذي معهم، تقسيم الطعام على قدر الإمكان، ومحاولة أن لا ينهار أحد من التعب الشديد.

مع مرور الأيام، بدأت آثار التعب والجوع تظهر بوضوح على الجميع. بعض الأطفال سقطوا من شدة الإرهاق، وابتلع المرض القليل من قوتهم. أحد الأطفال أصيب بإسهال شديد بسبب الماء القليل الملوث، وأمهم حاولت تنظيفه وتخفيف الألم بما تبقى لديها من طاقة. لم يكن هناك طبيب، ولم يكن هناك دواء، كل ما لديهم هو الصبر والاصرار على البقاء.

الليل كان أقسى من النهار. البرودة المفاجئة، العواصف الرملية الصغيرة، والأصوات الغريبة حول المخيم المؤقت جعلت الأطفال يبكون بـ لا توقف. آدم وريم ظلوا بالقرب من أمهم، يحاولون أن يدفئوها بلمس الأيدي، بينما سارة تبذل قصارى جهدها لإيجاد مكان آمن للنوم ولو لساعات قليلة.

في اليوم الثالث من الرحلة، بدأ بعض الناس من المجموعة ينهارون من الجوع. امرأة مسنة سقطت فجأة، حاول الرجال حملها، لكن الرمال الساخنة والضغط النفسي جعل الحركة صعبة. اضطروا لتركها وراءهم مع وعد بصوت مرتجف من بعض الرجال أنهم

سيعودون إذا تمكنوا. كان كل ذلك قاسٍ جدًا على الجميع، لكنه كان واقعهم الجديد: البقاء يعتمد على الحركة المستمرة، حتى لو كلف ذلك فقدان آخرين.

آدم بدأ يشعر بثقل المسؤولية أكثر من أي وقت مضى. كل دمعة ريم كانت كجرح جديد في قلبه، كل صرخة طفل مريض كانت صدى يعيده إلى شعور العجز الذي عرفه قبل سنوات. ولكنه تعلم أن التوقف ليس خيارًا، وأن أي لحظة ضعف قد تعني النهاية.

ريم، رغم تعبها الشديد، حاولت المشي مع كل خطوة، متمسكة بيد آدم، تبحث عن أي شعور

بالأمان في يده. كانت تعرف أنه، رغم صغر سنه، يمثل لها العالم كله الآن.

أحمد كان العين الساهرة على الجميع. لم يترك أي زاوية من الطريق دون مراقبة، أي صوت أو حركة كان يحللها بسرعة، أي مجموعة مشبوهة على الطريق كانت تخيفه، لكنه لم يظهر خوفه أمام الآخرين، حتى ليبقي على هدوء المجموعة الصغيرة حوله.

سارة أصبحت أكثر صرامة. كانت توزع المهام، تمنع الأطفال من التوقف لفترات طويلة، وتقسم القليل من الطعام والماء على الجميع. كانت تعرف أن أي لحظة ضعف قد تكلف

الجميع حياتهم.

بعد ستة أيام من السير، ومع استنزاف كل الطاقة، بدأت ملامح المخيمات الحدودية تظهر على الأفق. خيام مرتبة بشكل أفضل، مياه نظيفة نسبياً، بعض الغذاء، وأصوات الأ طفال الآخرين تعكس نوعًا من الحياة المطمئنة. لم يكن الأمر نهاية المعاناة، لكنها كانت المرة الأولى منذ الرحيل التي شعروا فيها ببصيص أمل واضح.

الأم، على الرغم من الإرهاق والجروح، شعرت بدموعها تنهمر، ليس من الحزن، بل من شعور غير مألوف بالسلام المؤقت. آدم حمل ريم

على كتفه لبعض الوقت، بينما سارة وأحمد يساعدون الآخرين على الوصول بسلام.

كل خطوة في المخيم الجديد كانت درسًا في البقاء. كل وجه جديد يحمل معه قصة أخرى عن الحرب والفقدان والمعاناة، وكل خيمة كانت شاهدة على معارك الحياة اليومية التي تخوضها كل عائلة.

---

# الفصل السادس

## الحياة في مخيم الحدود

### خيام مؤقتة وأصوات باهتة

وصلت المجموعة الصغيرة إلى مخيم الحدود بعد أيام طويلة من السير تحت الشمس الحارقة والرياح المحملة بالغبار. الخيام هنا كانت أكثر انتظامًا، والمياه المتوفرة كانت

قليلة لكنها نظيفة، والطعام قليل لكنه موجود. لأول مرة منذ الرحيل، شعروا بأن لديهم فرصة للبقاء على قيد الحياة ولو لفترة مؤقتة.

آدم، وهو ينظر حوله، لاحظ الأطفال الآخرين الذين فقدوا بعضهم أسرهم أو يعانون من المرض. بعض الأطفال كانوا صامتين تمامًا، كأنهم فقدوا القدرة على البكاء أو الضحك، وأعينهم كانت تحمل حزنًا لا يمكن للكلمات وصفه. كان يشعر بالخوف من المستقبل، لكنه أدرك أن هذه الخيمة المؤقتة قد تمنحهم أول شعور بالأمان منذ أسابيع.

ريم الصغيرة، على الرغم من التعب والإرهاق، بدأت تلاحظ الأطفال الآخرين. بعضهم يبكي بصمت، والبعض الآخر يحاول اللعب رغم الجوع والمرض. التقت عينيها بعين طفل آخر فقد والديه، وشعرت بالارتباط به، وكأن المصير المشترك يربطهم في صمت يفوق أي كلمات.

الأم شعرت بثقل المسؤولية يتضاعف. رغم الراحة النسبية، كانت تعلم أن المخيم الجديد لن يكون بدون مشاكل. المياه محدودة، الغذاء غير كافٍ، والمرض ينتشر بسرعة بين الأطفال. بدأت بتنظيم المكان حولهم، تحاول إيجاد زاوية آمنة للراحة، وتقديم ما لديها من

خبرة بسيطة لتخفيف المعاناة.

أحمد، الذي أصبح متأقلمًا مع مراقبة البيئة من حوله، بدأ يلاحظ تحركات الناس في المخيم. بعض الأشخاص كانوا عدوانيين قليلًا بسبب نقص الموارد، وبعضهم حاول السيطرة على المياه أو الطعام. أحس أحمد بضرورة الا نتباه لكل حركة، حتى لا يقع أحد الأطفال ضحية لأي نزاع مفاجئ.

سارة، رغم تعبها الشديد، لم تتوقف عن مساعدة الآخرين. كانت تساعد الأطفال على الوصول إلى الخيام، توزع الطعام والماء بما يتاح لها، وتحاول تهدئة النساء اللواتي فقدن

أعصابهن تحت ضغط الجوع والخوف. شعرت بثقل المسؤولية، لكنها لم تفقد شجاعتها، وعينها كانت دائمًا تراقب كل زاوية في المخيم للتأكد من سلامة المجموعة الصغيرة حولها.

مع مرور الأيام، بدأت بعض المشاكل الصغيرة تظهر. نقص الماء أجبر النساء على الانتظار لساعات للحصول على دلاء صغيرة، الأطفال بدأوا في الشجار من أجل الطعام القليل، وبعض الرجال حاولوا فرض قوتهم على الآ خرين. كل موقف كان اختبارًا جديدًا للصبر و التحمل، وكل قرار صغير كان قد ينقلب إلى صراع كبير.

آدم، وهو يرى الأطفال الآخرين يواجهون نفس الصعوبات، بدأ يفهم معنى القوة الداخلية والصبر. لم يعد مجرد طفل خائف، بل أصبح مراقبًا لما يحدث حوله، يحاول المساعدة بصمت، ويشد من عزيمة أخته الصغيرة على مواجهة الأيام القادمة.

ريم، رغم صغر سنها، بدأت تتعلم كيف تكون هادئة وسط الفوضى، كيف تنتظر دورها للحصول على الماء، وكيف تلتصق بأمها عندما يخطر أي شيء. كل يوم كان درسًا لها عن الصبر والحذر والاعتماد على الآخرين.

الأم بدأت تبني روتينًا يوميًا: الاستيقاظ باكرًا، البحث عن الماء والطعام، العناية بالمرضى، وحماية الأطفال من أي خطر داخلي أو خارجي. كانت تعرف أن السلام النسبي في المخيم لا يدوم، وأن أي لحظة يمكن أن تتحول إلى أزمة جديدة.

أحمد وسارة أصبحا الفريق المساند للأم، يساعدان في ترتيب الخيام، مراقبة الأطفال، توزيع الموارد، ومنع أي صراعات قد تحدث بسبب الجوع أو التعب. كانوا جميعًا يعلمون أن حياتهم الآن تعتمد على التنظيم واليقظة المستمرة.

مع مرور الأسابيع، بدأت بعض الروتينات تظهر في المخيم. الأطفال يحاولون اللعب لبعض الوقت، النساء يطبخن ما يتاح من الطعام، و الرجال يساعدون في حفر آبار صغيرة أو نقل الماء. ومع ذلك، لم ينسَ أحد الرعب والفقدان الذي عانوه في المخيم السابق، وكل يوم جديد كان يحمل معه ذكريات مؤلمة من الطريق الطويل والاعتداءات الماضية.

آدم، وهو يشاهد هؤلاء الأطفال، شعر أن معاناته الصغيرة ليست نهاية العالم، وأن الصبر والمراقبة واليقظة يمكن أن تمنحهم فرصة للبقاء. ريم أصبحت أكثر هدوءًا، والأم شعرت ببعض الراحة لأول مرة منذ الرحيل.

أحمد وسارة استمرا في حماية المجموعة الصغيرة، وكل خطوة كانت تحمل معهم درسًا عن القوة والتعاون في مواجهة الظروف القاسية.

في النهاية، رغم كل الصعوبات، المخيم الجديد أصبح بداية لحياة مؤقتة، حياة تحمل معها تحديات مستمرة، لكنها تمنحهم فرصة للنمو والبقاء، ولو مؤقتًا، في عالم لم يعد فيه الأمان إلا نسمة صغيرة بين الرماد والخوف.

---

# الفصل السابع

## المخيم على حافة الانهيار"صرخة الخوف والاختفاء"

مرت سنة كاملة على الحرب، والمخيمات الحدودية لم تعد ملاذًا، بل أصبحت ساحة للمعاناة المستمرة. الأطفال يمشون ببطء، أجسادهم نحيلة، عيونهم شاحبة، والعديد

منهم فقد القدرة على اللعب أو الضحك. سوء التغذية أصبح واقعًا يوميًا، وفي كل زاوية من المخيم يمكن سماع صرخات أطفال يئنون من الألم أو فقدانهم للطاقة.

آدم كان يشاهد الأطفال من حوله، ويده تتشنج أحيانًا حين يرى صغارًا يسقطون من شدة الضعف. كل يوم يجمع الماء والطعام القليل الممكن توزيعه، وكل مرة يخشى ألا يكون ما يكفي. ريم، التي أصبحت أكثر وعيًا بالخطر، تمسكت بيده أكثر من أي وقت مضى، محاولة إيجاد الأمان في كل لحظة.

الأم، رغم الإرهاق المتواصل، بدأت تشعر بـ

اليأس أحيانًا. كل وفاة طفل كانت كجرح جديد في قلبها، وكل يوم بدون طعام كافٍ يزيد من قلقها على حياة أطفالها. كانت تعلم أن الحرب لم تترك لهم سوى البقاء، وأن الحياة في المخيم أصبحت صعبة إلى أبعد حد.

لكن الخطر لم يقتصر على الجوع والمرض. مع تزايد الفوضى، بدأت حالات الاعتداءات على النساء تزداد يومًا بعد يوم. الضرب، الإهانة، والاغتصاب أصبحت أخبارًا متكررة، تنشر الرعب بين النساء في المخيم. كل صوت غريب في الليل كان يثير القلق، وكل خطوة بعيدة كانت سببًا للارتجاف والخوف.

وفي أحد الأيام المظلمة، وقع الحدث الذي قلب حياتهم رأسًا على عقب. سارة، التي كانت دائمًا بجانب الأم تساعد في حماية الأ طفال، اختُطفت فجأة من قبل مجموعة مسلحة، وسط صراخ النساء والأطفال. أحد ا لأطفال صرخ، آدم تلعثم، والأم شعرت بأن قلبها يتوقف. كل لحظة من التأخير قد تعني فقدان سارة إلى الأبد.

الصدمة تركت أثرها على الجميع. المخيم الذي كان قد وفر لهم شعورًا ضئيلًا بالأمان أصبح الآن مكانًا لا يُحتمل البقاء فيه. الأطفال ارتجفوا، النساء بكين، والرجال حاولوا البحث

عن أي أثر لسارة، لكن الطرق المحيطة بـ
المخيم كانت خالية من أي حماية أو ملاذ.

آدم قرر، رغم صغر سنه، أن لا يمكنهم البقاء.
قرر أن يبدأوا رحلة فرار جديدة، هذه المرة
مع خطر أكبر، ولكن لا خيار لديهم سوى
المغادرة. الأم، مع دموعها وغضبها، جمعت ما
بقي لديهم من طعام وماء، وأكدت لهم أنهم
يجب أن يتحركوا بسرعة قبل أن يصبح البقاء
قاتلاً.

ريم تمسكت بيد أخيها أكثر من أي وقت
مضى. كانت خائفة، لكنها بدأت تفهم أن
الحياة تعتمد الآن على الحركة، على الهروب

من المخيم، على البحث عن مكان أكثر أمانًا، ولو كان الطريق طويلا ً وقاسيًا كما كان في المرة السابقة.

أحمد، الذي شهد الكثير من الخطر والا عتداءات، أصبح قائدًا في هذه الرحلة. عيناه راقبت الطريق، كل حركة، كل ظل، كل صوت، وكل مجموعة مشتبه بها. كل خطوة كانت محسوبة بعناية، وكل دقيقة كانت تعني الفرق بين البقاء والاختفاء.

مع بداية المسير، غابت الشمس خلف الرمال القاحلة، والريح الحارقة أخذت تملأ الهواء بـ الغبار. كل خطوة كانت صعبة، كل لحظة كانت

اختبارًا للصمود. الأطفال، النساء، وكل من بقيوا على قيد الحياة، أصبحوا يتعلمون مرة أخرى معنى الخوف، القوة، والصبر في مواجهة واقع لم يرحمهم يومًا.

## الفصل الثامن

## المخيم الجديد على الحدود

## " ظل الخيام الأخيرة"

وصلوا بعد أسابيع من السير المرهق تحت الشمس الحارقة، والرياح المملوءة بالغبار، إلى مخيم حدودي جديد. الخيام متقاربة، المياه قليلة، والطعام بالكاد يكفي. لكن بالنسبة لهم، كان مجرد وجودهم على قيد الحياة شعورًا با

لإنجاز. شعور مؤقت، هش، لكنه أفضل من المخيم السابق حيث اختُطفت سارة، وسقط الكثير من الأطفال والنساء في الطريق.

آدم، ممسكًا بيد ريم، شعر بثقل الذكريات التي تراكمت في عقله: صور الأطفال الذين فقدوا الحياة، صرخات النساء المعتدى عليهن، والليل الطويل الذي كان فيه الخوف رفيقه الدائم. كل خطوة هنا كانت تذكره بأن الحياة ليست رحمة، بل صراع مستمر للبقاء.

ريم، على الرغم من عمرها الصغير، بدأت تفهم الخطر بطريقة مختلفة الآن. كل حركة في المخيم الجديد كانت تتبعها، كل صوت في

الليل كان يبعث فيها القلق، لكنها بدأت تتشبث بالقليل من الأمان الموجود حولها، ممسكة بيد آدم بقوة أكبر من أي وقت مضى.

الأم جلست على الأرض، تنظر إلى الأطفال الآخرين في المخيم، وتحاول تقديم ما تستطيع من ماء وطعام. عيونها لم تخفف من الألم الذي يعتصر قلبها على فقدان سارة، على الأطفال الذين ماتوا من الجوع، وعلى كل لحظة فقدوا فيها القدرة على الحماية. كانت تشعر أن كل شيء يتلاشى من حولها، وأن مسؤوليتها الآن ليست فقط عن عائلتها الصغيرة، بل عن البقاء على قيد الحياة بحد ذاته.

أحمد أصبح عين الحذر في المخيم الجديد. كل حركة، كل صراع على الماء أو الطعام، كان يراقبه بعناية. تعلم أن الأمان هنا نسبي، وأن أي لحظة يمكن أن تتحول إلى كارثة. لكنه لم يظهر خوفه أمام الآخرين، ليبقى هو الدعامة الصامتة للمجموعة.

الليل في المخيم كان مختلفًا: أصوات البكاء بين الخيام، نحيب النساء اللواتي فقدن كل شيء، وصوت الرياح العابرة بين الخيام، كلها كانت مزيجًا من الألم والخوف المستمر. آدم جلس بجانب أمّه وريم، يشعر بثقل كل لحظة، لكنه بدأ يعي شيئًا لم يفهمه قبل الحرب: أن

الصبر واليقظة والروابط الصغيرة بين الناس يمكن أن تصبح مصدرًا للحياة، ولو مؤقتًا.

الغياب المؤلم لسارة كان حاضرًا في كل تفصيلة. عندما مروا بالقرب من خيمة خالية في المخيم، تذكروا اللحظة التي اختُطفت فيها، والصمت الذي تبع صراخ الأطفال و النساء في تلك الليلة. كل ذلك جعلهم يدركون أن الأمان الكامل ليس ممكنًا، وأن الحزن و الخسارة أصبحا جزءًا من وجودهم الآن.

مع مرور الأيام، بدأ الأطفال يجرؤون على الحركة قليلا ً، النساء يحاولن الطهي من ما توفر، والرجال يساعدون في حمل الماء

وتنظيم الخيام. لكن الندوب النفسية و الجسدية ظلت عالقة بهم: آلام الجوع، الخوف الدائم، صدمات الاعتداءات، وغياب الأحباء. كل حركة صغيرة كانت تذكرهم بمعاناتهم السابقة، وكل ابتسامة ضعيفة كانت تحمل معها عبء الذكريات.

آدم، وهو يشاهد الأطفال الآخرين، بدأ يشعر بـ المسؤولية الحقيقية: ليس فقط البقاء على قيد الحياة، بل حمل ذكرى من فقدوا، وحماية من تبقى. ريم بدأت تبتسم أحيانًا، ببطء، لكنها تعلمت أن الضحك مؤقت، وأن كل لحظة أمان هشة تحتاج للحذر.

الأم، رغم كل الألم، شعرت بمساحة ضئيلة من الراحة. لم يزل الطريق طويلًا، ولم تزل الحرب تلوح في الأفق، لكن وجودهم معًا، حتى في ظل الخيام الأخيرة، كان يعطيهم فرصة للبقاء. أحمد استمر في مراقبة المخيم، محافظًا على هدوئه وصمته، ليبقي على الأقل شعورًا بالأمان حول المجموعة.

وهكذا، مع غروب الشمس بين الخيام الجديدة، جلسوا جميعًا معًا: آدم وريم، الأم، وأحمد. لم تكن سارة بينهم، ولا الأطفال الذين فقدوا حياتهم في الطريق، لكن وجودهم معًا، مع كل الجراح والخسائر، كان يحمل شعاعًا ضعيفًا من الأمل والبقاء، ولو مؤقتًا، وسط ع

الم لم يرحمهم أبدًا.

الحياة في المخيم لم تنتهِ، الصعوبات استمرت، والندوب ستظل معهم إلى الأبد. لكن في هذا الظل الأخير للخيام، تعلموا درسًا واحدًا: البقاء، رغم كل الألم، هو أقوى انتصار يمكن أن يحققه إنسان دارفور.

---

الخاتمة:

رسالة الكاتبة

ربما تكون هذه القصة مجرد جزء صغير من ما عايشه أطفال ونساء ورجال دارفور، لكنها تحمل صدى كل لحظة ألم، كل دمعة، وكل

صرخة صمتت في الصحارى والقرى المهجورة. لم تكن المعاناة هنا مجرد جوع أو مرض أو خوف، بل كانت سلسلة من الأحداث التي تنحت في نفوس البشر ندوبًا لا تُمحى، وتجعل كل لحظة حياة ثمينة، مهما كانت صعبة.

آدم، ريم، الأم، أحمد، وسارة الغائبة في أذهاننا ، ليسوا مجرد شخصيات؛ هم رمز للإنسان الذي يُجبر على البقاء رغم كل الظروف، الذي يرفض الانكسار حتى عندما يُسلب منه كل شيء. هذه الرواية لا تهدف للشفقة، بل للتذكير: أن الإنسان، في أحلك الظروف، يحمل في داخله قدرة على الصمود، على الحب، وعلى حماية الآخرين، ولو كان العالم

كله ضدّه.

قد لا تنتهي الحرب غدًا، وقد تبقى المخيمات ممتلئة بالحزن واليأس، لكن هناك شيء لا يمكن للظلم أن يمحوه: روح الإنسان التي تصر على البقاء، مهما كانت الخسائر، مهما كانت الظلمات.

إن كنت قارئًا لهذه الكلمات، تذكر أن كل طفل في دارفور، كل امرأة تبحث عن الأمان، وكل رجل يحاول الحماية، يستحق أن يسمع صوته ، أن تُروى قصته، وأن لا تُنسى معاناته. فهذه ليست مجرد حكاية، بل شهادة على الإنسانية التي تتحدى القسوة وتستمر في الصمود رغم

كل شيء.

---

إنسان دارفور
أيات عاطف
رواية